مع شاعر الملك عبد العزيز السياسي

للأستاذ عبد الله بن سعد الرويشد

شخصيةٌ فذةٌ، وشاعر فحل، ورائدٌ من رواد البلاغةِ في العصر الحديث.

ذلكم هو: (محمد بن عبد اللهِ بن عثيمَين) أشهر شعراءِ الجزيرةِ العربيةِ في العصر الحديث.

ولد ابن عثيمين عام ١٢٧٠ هجرية، في قرية السلُمية، من قرى الخرج، من صميم نجد، موطن أمّه وخئولته، وكانتْ حوطةُ بني تميم بلَدَ آبائِه وعمومتهِ، ومات والدُه عنه وهو يومئذ صبي في المهد ولم يتَرك له شيئًا، فتعهدتْه أمُّه حتى أجاد القراءةَ والكتابةَ وحفظ القرآنَ الكريمَ.

وهكذا نشأ ابنُ عثيمينٍ، نشأة العصاميين، الذين ينبتونَ في مواطنِ اليتم والبؤس، فتعوضهم رعايةُ اللهِ مافقدوا من عطفٍ وحنانٍ وأبوةٍ.

وسمعَ الشاعرُ بالشيخ عبدِ اللهِ بنِ محمدِ الخرجيِّ، عالمِ القريةِ وقاضيها، ورأى الناسَ يُهْرَعون إلى مجلسِه، يدعوهم إلى اللهِ، ويفقههُم في الدين، فهداه التوفيق إلى الاتصال به والأخذ عنه. ولما نما إدراكه واكتملت رجولته، حُبِّبَ إليه أن يعيشَ في الحوطةِ، بين قومهِ وعشيرتهِ، ولكنه ظلَّ قويَّ الصلةِ بشيخهِ، يزوره وينتفعُ بفضلهِ،

وقويتْ لدى الشيخ الخرجيّ دواعِي الرحلةِ عن نجدٍ، فرافقَه تلميذه ابن عثيمينٍ، في تجوالِهِ على شواطئ الخليجِ العربيِّ، وتنقَّلاَ بين إماراتهِ، حتى نزلاً في كَنَف الشيخ قاسمِ بنِ ثانٍ حاكمِ قطرٍ، وهناك تكشفت للشيخ قاسمٍ مواهب الشاعرِ ودينه وفضله، فأقبلَ عليهِ، وأحلَّه محلاً كريماً، مما شجعه على الإقامةِ لديه أربعَ سنواتٍ خفَّتْ عليه فيها أعباء الحياة، وزال عنه كثيرٌ من همومِها. فقد اختلط بأفراد الأسرةِ، وداخلهم مداخلةً قويةً، تقوم على الإعجابِ بروحهِ وأدبهِ، فنمت هناك شاعريته، وأخصب خياله، وتفتحت مواهبه، ثم أقبل على الأدبِ وحفظَ كثيراًمن روائعه، وتدرجَ من الشعرِ الشعبي إلى الشعر الفصيح، ومازال يعالجهُ حتى سبق كافةَ معاصريه، من شعراءِ الجزيرةِ العربيةِ، وعاد الشاعرُ بعد تلكِ الفترةِ إلى وطنهِ نجدٍ، ولكنه دأبَ على الرحلةِ التي ألفهَا، وجنى منها الخير، ماديًا وأدبيًا، وتوالت أسفارُه على شواطئ الخليجِ العربيِّ، متنقلاً بين قَطَرٍ وعَمَانَ والبحرينِ، فكثُرَ أصدقاؤُه والمعجبون به في تلك الأقطار، وتوثقتْ عُرَى المحبة، بينه وبين آل خليفة، حكام البحرين خاصةً فكانوا له كآل ثانٍ حبا وكرماً ورِدْءاً من الملمات، ولما نزلتْ بالشاعرِ في تجارتهِ (اللؤلؤ والأحجارِ الكريمة) ضائقةٌ ماليةٌ، وركبه دينٌ فادحٌ، وجدَ في صديقهِ الأديبِ الشيخ محمد بن عيسى آل خليفة ماأقالَهُ من عثرتهِ، وكشفَ من ظُلامتهِ، وجازاه الشاعرُ بمدائحَ جليلةٍ، **قال في إحداها:**

فما نظرتْ عيني ولامرَّ مَسْمَعي
بحلَ ولاحيثُ استقلَّ رحيلُ
كمثلِ بني عيسى حفاظًا ونائلا
إذا عَمَّ أقطارَ البلادِ مُحُولُ

وهاأنت ذا ترى أنه قد ذهبَ ماأعطوْهُ وبقيَ ما أعطاهم.

صفات الشاعر وأخلاقه

كان ابن عثيمينٍ ربعةً من الرجال، ليس بالطويلِ ولا بالقصيرِ، أسمَر اللونِ، حادَّ

البصرِ، مكتملَ الصحةِ، وكـان وقوراً حسنَ السمتِ، دائبَ الجدِّ؛ وقد يتندَّرُ، ولكن مع قلةٍ يصطفيها من الصحـاب، وكان إلـى ذلك سخـيَّ الكفِّ، كـثيرَ البرِّ شجاعاً وفيّاً لأصدقائه، ويؤيد ذلك أنه لما وقعت حروبٌ بين أصدقائه آل ثـان، وبين خصومهم، اشتركَ في القتـال، فلما كانت موقـعةُ (خنور) قُتل حاملُ الرايةِ من جيش آلِ ثان، وكادت الهزيمةُ أن تلحقَ بهم، لولا أن الشاعرَ نهض إلى الرايـة فحملها، وأخذَ يتقدم ويعدو بها، حتى التحم الجيشان، وأخذَ يشقُّ الصفوفَ، ويهتفُ بالجُنْد، وقد أثار بذلك حماسة صحبِه، فكان النصرُ حليفَهم.

ثقافة الشاعر

وقد جدَّ الشاعر في التحصيلِ والدرسِ، رغم كدِّ العيش وعنتِ الأيام، وقد حاولَ أن يكون له سبقٌ في الشريعة وعلومِها، لذا رأيناه في باكورة حياتهِ ينقطع إلى الشيخ الخرجي بالسلمةِ، يأخذُ عنه، ولما اشتغل بتجارةِ اللؤلؤِ على ساحلِ الخليجِ العربيِّ جعلَ للعلمِ طرفيِ النهارِ، فإن كان بعُمان كان أستاذهُ الشيخ/ أحمدَ الرجباني. وإن كان بقطر تتلمذ على العلامةِ الشيخ/ محمدِ بنِ عبدِالعزيزِ بنِ مانعٍ، فإن رجع إلى نجدٍ رأيتَه بالأفلاج في دروس الشيخ (سعد بن حمدِ بنِ عتيقٍ)، وبالرياضِ مع أئمةِ الدعوة السلفيةِ، من آلِ الشيخ محمدِ بن عبدالوهابِ، رحمه اللهُ، لكنه رغمَ هذا الجدِّ ورغمَ طموحِهِ إلى المشيخةِ في العلومِ الشرعيةِ، غلبَ عليه الأدبُ، وعُرفَ به دون سواه، وقد حفظَ مقاماتِ الحريري، كما حفظَ وقرأ كثيراً من شعر الأقدمين، من شعراء الجاهليةِ والإسلامِ والمخضرمين والأمويين والعباسيين.

صلة الشاعر بآل سعود:

فتحَ الملكُ عبدُالعزيز بنُ عبدِالرحمنِ آلِ سعود، رحمه الله، الأحساءَ سنة (١٣٣١هـ)، والشاعرُ إذ ذاكَ يتنقلُ بين الإماراتِ العربيةِ على الخليجِ كما قدمنا، وقد

ازدهاه هذا النصر بوصفه مسلماً تعنيه عزةُ دينه ، وبوصفه مواطناً يتمنَّى لبلاده القوة والمنعة .

وأثلج صدرهَ هذا النصرُ المبين، فأنطق لسانه وقام مسرعاً بتقديم تهنئته للملك عبدالعزيز وتسجيل ذلك الفتح العظيم بقصيدة رائعة يقول في **مطلعها**:

اَلعِزُّ وَالْمَجْدُ فِي الْهِنْدِيَّةِ الْقُضُبِ
لاَ فِي الرَّسَائِلِ والتَّنْمِيق لِلْخُطب
تَقْضِي الْمَوَاضِي فيَمْضِي حكْمُهَا أممًا
إنْ خالَجَ الشَّكُّ رأيِ الْحاذِقِ الأرب
ولَيْسَ يَبْنِي الْعُلاَ إلاَّ نَدًى ووَغَى
هُمَا الْمَعَارِجُ لِلأسْنَى مِنَ الرُّتَبِ
ومشمعل أخُو عَزْمٍ يُشَيِّعَهُ
قَلْبٌ صَرُوْمٌ إذا مَاهَمَّ لمْ يَهبِ
لِلَهِ طَلاَّبُ أوْتَارٍ أعَدَّ لَهَا
سَيْرًا حَثِيثًا بِعَزْمٍ غَيْرِ مُؤْتَشَبُ
ذَاكَ الإمَامُ الَّذِي كَادتْ عَزَائِمُهُ
تَسْمُو بِهِ فوْقَ هَامِ النسر والْقُطْبِ
عَبْدُ الْعَزِيزِ الَّذي ذُلَّتْ لِسَطْوَتِهِ
شُوسُ الْجَبابرِمنْ عُجْمٍ وَمِنْ عَربِ
لَيْثُ اللِيوث أخُو الْهَيْجَاءِ مِسْعَرُهَا
اَلسَّيِّدُ النجب ابْنُ السَّادَةِ النُّجُبِ
قَوْمٌ هُمْ زِينَةُ الدُّنْيَا وَبَهْجَتُهَا
وَهُمْ لَهَا عَمَدٌ مَمْدُودَةُ الطُّنُبِ
لكِنَّ شَمْسَ مُلُوكِ الأرْضِ قَاطِبَةً
عَبْدُ الْعَزِيزِ بِلا مَيْنٍ ولاَ كَذِبِ

قَادَ الْمَقَانِبَ يَكْسُو الْجَوَّ عِثْيَرُهَا

سَمَاءَ مُرْتَكِمٍ مِنْ نَقْعِ مُرْتَكِبِ
حَتَّى إِذَا وَرَدَتْ مَاءَ الصَّرَّاةِ وَقَدْ

صَارَتْ لَوَاحِقَ أَقْرَابِ مِنَ السَّغَبِ
قَالَ النِّزَالُ لَنَا فِي الْحَرْبِ شِنْشِنَةٌ

نَمْشِي إِلَيْهَا وَلَوْ جَثْيًا عَلَى الرُّكَبِ
فَسَارَ مِنْ نَفْسِهِ فِي جَحْفَلٍ حَرِدٍ

وَسَارَ مِنْ جَيْشِهِ فِي عَسْكَرٍ لَجِبِ
فَتْحٌ بِهِ أَضْحَتِ الأَحْسَاءُ طَاهِرَةً

مِنْ رِجْسِهَا وَهْيَ فِيمَا مَرَّ كَالْجُنُبِ
شُكْرًا بَنِي هَجَرٍ لِلْمُقْرِنِيِّ فَقَدْ

مِنْ قَبْلِهِ كُنْتُمُ فِي هُوَّةِ الْعَطَبِ
قَدْ كُنْتُمُ قَبْلَهُ نَهْبًا بِمَضْيَعَةٍ

مَابَيْنَ مُفْتَرَسٍ مِنْكُمْ وَمُسْتَلَبِ
رُومٌ تُحَكِّمُ فِيكُمْ رَأْيَ ذِي سَفَهٍ

أَحْكَامَ مُعْتَقَدِ التَّثْلِيثِ وَالصُّلُبِ
وَلِلأَعَارِيبِ فِي أَمْوَالِكُمْ عَبَثٌ

يَمْرُونَكُمْ مَرْيَ ذَاتِ الصِّنْوِ فِي الْحَلَبِ

ويقول فيها؟ ....
وَقَبْلَكُمْ جُنَّ نَجْدٌ وَاسْتُطِيرَ بِهِ

فَمَاذَهُ بِشِفَارِ الْبِيضِ وَالْيَلَبِ
شَوَارِدٌ قَيَّدَتْهَا صِدْقُ عَزْمَتِهِ

فَظَلْنَ يَرْفُسْنَ بَعْدَ الْوَخْدِ وَالْخَبَبِ

مَلْكٌ يؤُودُ الرَّوَاسِي حمْلُ همَّتِهِ

لَوْ كَانَ يُمْكِنَ أَرْقَتْهُ إِلَى الشُّهُبِ
وَيرْكَبُ الْخَطْبَ لاَيَدْرِي نَواجِذَهُ

تَفْتَرُّ عَنْ ظَفَرٍ فِي ذَاكَ أَوْ شَجَبِ
إذَا الْمُلُوكُ اسْتَلاَنُوا الْفَرْشَ وَاتَّكَئوا

عَلَى الأرَائِكِ بَيْنَ الْخُرَّدِ الْعُرُبِ
فَفِي الْمَوَاضِي وَفِي السُّمْرِ اللِّدَانِ وَفِي الْجُرْدِ الْجِيَادِ لَهُ شُغْلٌ عَنِ الطَّرَبِ
يَاأَيُّهَا الْمَلِكُ المَيْمُونُ طَائِرُهُ

اِسْمَعْ هُدِيتَ مَقَالَ النَّاصِحِ الْحَدِبِ
اِجْعَلْ مُشِيرَكَ فِي أمْرٍ تُحَاوِلُهُ

مُهَذَّبَ الرَّأْيِ ذَا عِلْمٍ وَذَا أَدَبِ
وَقَدِّمِ الشَّرْعَ ثُمَّ السَّيْفَ إِنَّهُمَا

قِوَامُ ذَا الْخَلْقِ فِي بَدْءٍ وَفِي عَقِبِ
هُمَا الدَّوَاءُ لأَقْوَامٍ إِذَا صَعَرَتْ

خُدُودُهُمْ وَاسْتَحَقُّوا صَوْلَةَ الْغَضَبِ
وَاسْتَعْمِلِ الْعَفْوَ عَمَّنْ لاَنَصِيرَ لَهُ

إلاَّ الإلَهُ فَذَاكَ الْعِزُّ فَاحْتَسِبِ
وَاعْقِدْ مَعَ اللَهِ عَزْمًا لِلْجِهَادِ فَقَدْ

أُوتِيتَ نَصْرًا عَزِيزًا فَاسْتَقِمْ وَثِبِ
وَأَكْرِمِ الْعُلَمَاءَ الْعَامِلِينَ وَكُنْ

بِهِمْ رَحِيمًا تَجِدْهُ خَيْرَ مُنْقَلَبِ
وَاحْذَرْ أُنَاسًا أَصَارُوا الْعِلْمَ مَدْرَجَةً

لِمَا يُرَجُّونَ مِنْ جَاهٍ وَمِنْ نَشَبِ

هذا وَفِي عِلْمِكَ الْمَكْنُونِ جَوْهَرَهُ
ماكَانَ يُغْنِيكَ عَنْ تَذْكِيرِ مُحْتَسِبِ
وَخُذْ شَوَارِدَ أَبْيَات مُثَقَّفَةٍ
كَأَنَّهَا دُرَرٌ فُصِّلْنَ بِالذَّهَبِ
زَهَتْ بِمَدْحِكَ حَتَى قَالَ سَامِعُهَا
[أَللَهُ أَكْبَرُ كُلُّ الْحُسْنِ فِي الْعَرَبِ]
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَتَسْلِيمُ الإِلَهِ عَلَى
مَنْ خَصَّهُ اللَهُ بِالأَسْنَى مِنَ الْكُتُبِ
الْمُصْطَفَى مِنْ أَرَوَمٍ طَابَ عُنْصُرُهَا
مُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بْنِ الطَّاهِرِ النَّسَبِ

وتعد هذه معارضة لقصيدة أبي تمام في مدح المعتصم العباسي وتهنئته بفتح عمورية وهي القصيدة المشهورة **التي مطلعها:**

السيف أصدق أنباءً من الكتب
في حده الحد بين الجد واللعب

وكان شاعرنا موفقًا في هذه المعارضةِ كلَّ التوفيقِ، فالمناسبةُ قويةٌ بين الفتحين: ففتح عموريةَ كان إنقاذًا للمسلمين من تنكيل الروم، وكذلك كان فتح الأحساء إنقاذًا للمسلمين من تنكيل المحتلينَ والمستعمرين، وهذه أول قصيدة قالها الشاعر في مدح الملك عبدالعزيز آلِ سعودٍ، ومنذ ذلك التاريخ سطعَ نجم شاعرنا الهمام ابنِ عثيمين في سماء الأدبِ وسَجَّلَ في قصائدهِ انتصاراتِ الملكِ عبدِالعزيزِ، وبطولتهِ المظفرة، ووقائعَه الفاصلةَ وفتوحاته الكبرى، وعَرفَ الملكُ عبدُالعزيز، غفر الله له، للشاعر النجديِّ فضلَه، وقدَّرَ أدبه، فأضفى عليه ثوبَ النعمة.

خاتمة حياة الشاعر:

وفي أخرياتِ عمرِ الشاعر الطويل انصرفَ عن الشعر إلى العبادة، بعد أن بلغ

خمسة وثمانين عاماً، ووافاه القدرُ المحتوم في اليوم الثامن من شهر ذي الحجة، سنة ١٣٦٣هـ/ ١٩٤٤م، ولـه من العمر ثلاثةٌ وتسعون عـاماً وهو بكامل قـواه، ودافق حيويته -رحمه الله.

شعره ومنزلته بين الشعراء:

يمتاز شعر ابنِ عثيمينِ بالسهولةِ والعذوبةِ ووضوحِ المعنى، وجزالةِ التركيب، ويظهرُ فيه كلفه باحتذاءِ الأقدمين في بعض قصائدِهم المشهورة، وإذا قِيس شعره بزمنِه وبيئتِه التي عاش فيها، وبعصره الذي ساده التأخرُ والجهل، حق لنا أن نعدَّهُ من قادةِ النهضةِ الأدبيةِ الحديثة، ورائدِها في الجزيرة العربية، ومن يستوعبْ ديوانَ ابنِ عثيمينِ (العقدَ الثمين) من شعرِ محمدَ بنِ عثيمينٍ، الذي قام بجمعِه وترتيبِه وشرح مفرداته اللغوية والدِي الشيخ سعد بن عبدِالعزيزِ الرويشدِ، حيث بَذَلَ جَهْدًا كبيرًا في البحثِ عن قصائدِ الشاعرِ في قَطَرٍ والبحرينِ، ولدى بعضِ العلماءِ والأدباءِ في الرياض وحوطةِ بني تميمٍ والخرجِ، وفي مكتبةِ معالي الشيخ محمد سرورِ الصبانِ -رحمه الله- بمكةَ المكرمة، وقد طُبع هذا الديوانُ القيِّمُ (العقدُ الثمين) الطبعة الأولى على نفقة معالي الشيخ عبدالله السليمان الحمدان رحمه الله، بدار المعارف بمصر عام (١٣٧٥هـ) والطبعة الثانية بأمر حاكم قطر السابق أحمد بن علي آل ثان والثالثة والجديدة على حساب الشيخ عبدالعزيز العبدالله الحمدان وإخوانه.

أغراض شعره:

ويغلب على ابن عثيمين في شعره ثلاثة أغراضٍ، هي المدحُ والتهنئةُ والرِّثاءُ، وهي تكاد تَنْبُعُ من معين واحد.

أما المدح فقد تفوَّق فَيه، ونظمَ روائعَه، فحاكى غيره من الشعراء، غير أنه اختارَ لمدحِه ثلاثَ أسرٍ عربيةٍ ماجدة، هي آل سعودٍ، وآل خليفةَ، وآل ثانٍ، حيث اختصَّهُمْ

بمدحه، فقدروه حق قدره، وربأ بنفسه أن يمدحَ من هو دون الملوكِ والأمراءِ ولم يكن في مدحه يقصد عطاءً ولا مالاً، ولم يكن من المتكسبين بشعره، فقد كان تاجرًا يعيش بكفاحِهِ وكَدِّهِ، وكان يشكرُ لهؤلاء الملوكِ عنايتَهم به وحَدَبَهم عليه، **فنراه يقول:**

وماكنت ممن يجعل الشعرَ مكسبًا
ولم يَضْطَبِنَى للمطامع قيل
ولكن غمام من نداك أظلنّي
فأخضلت فيهِ والزمانُ مَحيل

واستأثرَ بأكثرَ مدائحهِ الملك عبدالعزيز عندما توالت فتوحاته للعواصمِ الكبرى من مملكته فهو شاعره السياسي.

أما الرثاء فمبعثه الوفاء لمن أحسن إليه من العظماء والعلماء فهو ينزع فيه عن عاطفةٍ صادقةٍ إسلاميةٍ نبيلةٍ وروحٍ سامية، وفي هذا الغرض نجد له بعضَ أمثلة من الحكمة، ولم يتصرَّفْ شاعرنا في بقية الأغراضِ الشعريةِ الأخرى فقد ترك الهجاء لعفةِ لسانهِ وسموِّ خلقهِ وحرصه على محبة الناس ومسالمتهم، وترك الغزلَ لأنه إنما يحسنُ من ذوي الطبيعةِ المرحة، فلايليق بمن كان مثلُه في توقُّره وسَمْتِه؛ على أنه جارى السابقينَ وحاكاهم بالتشبيبِ في أولِ قصائده ويكاد لايترك ذلك إلا نادرًا ومن قول شاعرنا في الرثاء ماقاله في رثاء العلامة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ المتوفى سنة ١٣٣٩هـ:

لِمثلِ ذا الْخَطْبِ فلتَبْكِ الْعُيُونُ دَمَا
فمَا يُمَاثِلُهُ خَطْبٌ وإنْ عَظمَا
كَانَتْ مَصَائِبُنَا مِنْ قَبْلِهِ جَلَلاً
فالآنَ جُبَّ سَنَامُ الْمَجْدِ وَانْهَدَمَا
بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ فاضَتْ جَدَاوِلُهُ
لكِنَّهُ سَائِغٌ فِي ذَوْقِ مَنْ طَعِمَا

تَنْشَقُ أصدافه فِي الْبَحْثِ عَنْ دُرَرٍ
تَهْدِي إلى الْحَقِ مفْهُوما ومُلْتَزِما
فكَمْ قَوَاعد فقهٍ قَدْ أبَانَ وكَمْ
أشَادَ رَسْمًا من الْعَلْيَا قَدِ انْثَلما
نعَى إلَيْنَا الْعُلاَ وَالْبِرَّ مَصْرَعَهُ
وَالْعِلْمَ وَالْفَضْلَ وَالإحْسَانَ وَالْكَرَما
هَذِي الْخِصَالُ الَّتِي كَانَتْ تُفَضِّلُهُ
عَلَى الرِّجَالِ فَأضْحَى فِيهِمْ عَلَمَا
فَلَيْتَ شِعْرِيَ مَنْ لِلْمُشْكِلاَتِ إذَا
مَاحَلَّ مِنْهَا عَوِيصٌ يُبْهِمُ الْفَهِمَا
ولِلْعُلُومِ الَّتِي تَخْفَى غَوَامِضُهَا
عَلَى الْفُحُولِ من الأحْبَارِ وَالْعُلَمَا
مَنْ لِلأرَامِلِ وَالأيْتَامِ إنْ كَلَحَتْ
غُبْرُ السِّنِينَ وَأبْدَتْ نَاجِذًا خَذِمَا
لَوْ كُنْتُ أمْلِكُ إذْ حَانَتْ مَنِيَّتُهُ
دَفَعْتُهَا عَنْهُ لَكِنْ حُمَّ مَاحُتِمَا
إنَّ الْحَيَاةَ وَإنْ طَالَ السُّرُورُ بِهَا
لاَبُدَّ يَلْقَى الْفَتَى مِنْ مَسِّهَا ألَمَا
أمَا تَرَى الشَّيْخَ عَبْدَ اللَهِ كَيْفَ مَضَى
وَكَانَ عِقْدًا نَفِيسًا يَفْضُلُ الْقِيَمَا
اَللَّهُ أكْبَرُ كَمْ بَاكٍ وَبَاكِيَةٍ
وَحَائِرٍ كَاظِمٍ لِلْغَيْظِ قَدْ وَجَمَا

وَفجْعَةِ الدِّينِ والدُّنْيَا لمصْرَعه

وَفرْحَةِ النَّاسِ وَالإسْلاَمِ لَوْ سلمَا

ومن قول شاعرنا في صديقه وراوية شعره الأديب عبدالله بن أحمد العجيري المتوفى سنة (١٣٥٢هـ):

هُوَ الْمَوْتُ مَامِنْهُ مَلاَذٌ وَمَهْرَبُ

مَتَى حَطَّ ذا عَنْ نعْشِهِ ذَاكَ يَرْكَبُ

إلَى اللَّهِ نَشْكُو قَسْوَةً فِي قُلوبنَا

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ وَاعِظُ الْمَوْتِ يَنْدُبُ

نُهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبَ حَتَّى كَأَنَّهُ

عَدُوٌّ وَفِي الأحْشَاءِ نَارٌ تَلَهَّبُ

سَقَى جَدَثًا وَارَى ابْنَ أحْمَدَ وَابِلٌ

مِنَ الْعَفْوِ رَجَّاسُ الْعَشِيَّاتِ صَيِّبُ

فَلَوْ كَانَ يُفْدَى بِالنُّفُوسِ وَمَاغَلاَ

لَطِبْنَا نُفوسًا بِالَّذِي كَانَ يَطْلُبُ

وَلَكِنْ إذَا تَمَّ الْمَدَى نَفذَ الْقَضَا

وَمَا لاِمْرِئٍ عَمَّا قَضَى اللَّهُ مَهْرَبُ

أخٌ كَانَ لِي نِعْمَ الْمُعِينُ عَلَى التُّقَى

بِهِ تَنْجَلِي عَنِّي الْهُمُومُ وَتَذْهَبُ

فطَوْرًا بِأخْبَارِ الرَّسُولِ وَصَحْبِهِ

وَطَوْرًا بِآدَابٍ تَلَذُّ وَتَعْذُبُ

عَلَى ذا مَضَى عُمْرِي كَذَاكَ وَعُمْرُهُ

صَفِيَّيْنِ لاَ نَجْفُو وَلاَ نَتَعَتَّبُ

لِكُلِّ اجْتِمَاعٍ مِنْ خَلِيلَيْنِ فُرْقَةٌ
ولَوْ بَيْنَهُمْ قَدْ طَابَ عَيْشٌ وَمَشْرَبُ
فَمَا نَحْنُ فِي دَارِ الْمُنَى غَيْرَ أَنَّنَا
شُغِفْنَا بِدُنْيَا تَضْمَحِلُ وَتَذْهَبُ
فَحُثُّوا مَطَايَا الإِرْتِحَالِ وَشَمِّرُوا
إِلَى اللَّهِ وَالدَّارِ الَّتِي لَيْسَ تَخْرَبُ

وقد جمع ديوان الشاعر كل ماأمكن جمعه من شعره إلا هذه الأبيات الخمسة التي وجدتها مخطوطة بيد الشاعر في مكتبة الشيخ إبراهيم بن عبدالله الشايقي ضمن جواب خطاب قد بعثه الشاعر وهو بحوطة بني تميم إلى الإمام عبدالرحمن بن فيصل آل سعود والد الملك عبدالعزيز - رحمهم الله جميعاً- وهو بالرياض وذلك بتاريخ أربعة رجب عام ١٣٤٦هـ.

وكان الإمام عبدالرحمن قد بعث إلى الشاعر رسالة ومعها (عباءة)له، وكان الشايقي يعمل مديراً لمكتب الإمام عبدالرحمن وكذلك قصيدة في الملك سعود -رحمه الله- يهنئه الشاعر بولاية العهد ومقطَّعة شعرية في الشيخ محمد بن مانع أستاذ الشاعر عليهما رحمة الله:

كسوتني حلة تبلى محاسنها
فسوف أكسوك من حسن الثنا حللا
انت ابن من زانت الدنيا مكارمهم
وأصبحوا مجدهم بين الورى مثلا
بكم هدى الله ماضينا وآخرنا
فأنتم رحمة نلنا بها الأملا
يحصى الحصى قبل أن تحصى فضائلكم
دنيا ودينا وإحسانًا ومنتحلا

فالله يكسوكمو نعما ويجعلكم
ملوكنا مابدا نجم وما أفلا

وأسجل هنا للحقيقة والتاريخ أن شاعرنا الكبير محمد بن عثيمين قد نقل الشعر العربي في مجتمعه في الجزيرة العربية من مرحلة التقليد والصناعة اللفظية إلى عهد جديد من الأصالة والبلاغة الشعرية وسمو المعنى وقوة النسج وتحليق الخيال....

◆